مركز المتكأ للدراسات الإستراتيجية المستقبلية

المؤتمر العلمي الأول حول معركة وادي دينار 30 – 2016/3/31م

مجاهدو الزنتان ودورهم في بعض المعارك الفاصلة في الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي خارج منطقتهم ما بين 1918 – 1923م

د. سعد رحومة المبروك شميسة

المقدمة:

يتناول هذا البحث مجموعة من معارك الشرف التي خاضها الأجداد ضد الاحتلال الإيطالي, والتي وقعت في مناطق عديدة من تراب الوطن الحبيب (ليبيا) مبرزًا دور مجاهدي الزنتان في المشاركة في هذه المعارك والتي كانت خارج منطقتهم, رغم صعوبة وصولهم إلى تلك المناطق بسبب قلة المواصلات وصعوبتها, ولكن حب الوطن دفعهم للمشاركة في هذا الواجب الوطني مهما كلفهم ذلك من ثمن.

احتل موضوع الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية, وخاصةً الليبية منها, ولعل استعراض هذا البحث لبعضٍ من هذه المعارك خارج منطقة الزنتان سيكشف لنا الترابط بين أبناء هذا الوطن ورفضهم لكل أجنبي, والوقوف معاً للهجمات التي تعرضت لها هذه المناطق على امتداد تاريخها البعيد, ومن هنا تتبلور الوطنية وحب الوطن في كونهما ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية تعكس أوضاع المجتمع الذي توجد فيه, وتتشكل وتتغير صورها تبعاً لما يدور فيه من اتجاهات, وتغيرات تشمل أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية.

ولأهمية هذا الموضع تعرض الباحث في بحثه إلى توضيح مشاركة مجاهدي الزنتان في المعارك التي تعرضت لها العديد من المناطق الليبية, والتي تبعد عنهم جغرافياً, لدراسة الترابط الوثيق الذي كان يجمع الليبيين على اختلاف مناطقهم, لذا جاء التركيز على حركة الجهاد باعتبارها من أكثر الموضوعات ارتباطاً بجوانب الوطنية وحب الوطن والتمسك بالحرية والاستقلال, كما ترجع أهمية دراستها في التاريخ إلى كونها ظاهرة اجتماعية لها صلة بارزة بالظواهر الاجتماعية الأخرى, وعلى ذلك لا يمكن دراستها بمعزل عن الإطار العام للمجتمع, حيث يعد انعكاساً لخصائص البيئة, والوضع المهني, والتعليمي للأسرة.

يكمن موطن القوة في موضوعنا, أنه سوف يلقي الضوء على ملمح مهم من أبعاد التغير الاجتماعي الثقافي, ذلك أن الشعور الوطني ينجم في كثير من الأحوال عن عاملين, هما: العامل الديني, والعامل الاجتماعي, واللذان بدورهما يلعبان دورًا بارزًا خاصةً في ميادين مشاركة الآخرين مشاعرهم وهمومهم, وهو ما سوف نلمسه بوضوح من خلال تتبع هذه الدراسة.

لذا يهدف موضوع بحثنا إلى دراسة الدور الوطني لمجاهدي الزنتان من خلال دراسة المعارك التي شاركوا فيها ضد الاحتلال الإيطالي خارج منطقتهم, في حين تكمن الأهمية التاريخية لهذا البحث في تناوله لموضوعات في تاريخ الجهاد الليبي ما بين 1918 – 1923م أي فترة الاستعمار الإيطالي لليبيا, ودور مجاهدي الزنتان في مشاركة إخوانهم في المعارك التي وقعت خارج مدينة الزنتان, لإظهار الروح النضالية المتأصلة في هذا الشعب والمتمثلة في تمسكه بحريته واستقلاله, ورفضه لكل أجنبي دخيل تحت أي شعار, ومن وراء أي ستار, ونظراً لأن هذا النوع من الأبحاث يقوم على دراسة ومعرفة الأحوال والأحداث التي جرت في الماضي، وأن التاريخ علم يبحث عن الحقيقة من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها وتفحصها والتحقق منها ونقدها وتحليلها, لذا "يقوم البعد التاريخي على محاولة كشف العناصر المدروسة والنظر إليها نظرة تشريحية عميقة, على اعتبار أن هذا الكيان الماثل أمامنا في الحاضر شيء متطور والنظر إليه على أنه متغير عبر العصور من خلال الاحتكاك بالثقافات المختلفة"[1].

ومن هنا يكون هذا البعد قد أسهم في دراسة (الوطنية) ورفض الأجنبي بمشاركة الآخرين همومهم وأحزانهم بالرغم من صعوبة المواصلات وشح الأحوال الاقتصادية التي مرت بها البلاد خلال فترة البحث.

[1] الجوهري محمد: علم الفولكلور, ج1, الأسس النظرية والمنهجية, دار المعارف, القاهرة, ط1, 1975م, ص362.

وقد حاول الباحث أن يحصر موضوع بحثه ليوفر خلفية كافية عن ميدان دراسته من خلال المصادر التالية:

1. الاستعانة بالدراسات السابقة التي تناولت الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي, والتركيز على التحام الليبيين مع بعضهم ضد الغزاة ليظهروا العامل الوطني بوضوح.
2. الاستفادة من الكتب التاريخية التي تناولت فترة البحث.
3. الاستنارة بالإخباريين من كبار السن مِمَّن عاصروا أو سمعوا من آبائهم أو أمهاتهم أو أجدادهم أو جداتهم عن الجهاد في مجتمع الدراسة, ومعرفة آرائهم من خلال سردهم للوقائع التاريخية, وذلك للمساعدة في فهم الدور الوطني الذي لعب دورًا في استمرار حركة الجهاد, وذلك للحصول على معلومات عن العامل الاجتماعي في مجتمع الدراسة في فترات زمنية سابقة, ومن ثم مقارنة القديم بالحديث الأمر الذي يساعد على إثراء المقارنة والكشف عن أبعاد التغير ومبرراته ودوافعه.

يدلنا التراث السوسيولوجي والأنثروبولوجي إلى أن العاملين الديني والاجتماعي يلعبان دورًا حاسمًا في تغير ملامح المجتمع, وحيث إن موضوع البحث يسعى إلى دراسة وفهم العامل الوطني بالتركيز على مشاركة الآخرين همومهم وأحزانهم. لذا وقع اختيار الباحث على إحدى المدن الليبية, والتي تبعد عن العاصمة الليبية طرابلس بحوالي 180كم؛ ألا وهي مدينة الزنتان الممتدة من الرياينة شرقاً وحتى الرجبان غرباً ومن سبها جنوباً وحتى صبراتة وصرمان شمالا كمحاولة لاختبار أثر العامل الوطني, وخاصة أن معظم الدراسات السابقة أغفلت التعرض للبحث في هذا المجال.

ولذا سعت الدراسة الراهنة للكشف عن العامل الوطني من خلال دراسة مشاركة مجاهدي الزنتان إخوانهم ضد الاحتلال الإيطالي خارج منطقتهم بوصفها أحد الموضوعات التي تعيش في تفاعل كامل مع الواقع الحي للمجتمع.

وتأسيسًا على ما تقدم تنطلق الدراسة من تساؤلات أساسية مؤداها:

ما أهم السمات المميزة لنسق العامل الوطني بمدينة البحث؟ وما عوامل استمرار هذا النسق؟ وهل هناك ثمة تغيرات طرأت على هذا النسق؟ وما أهم ملامح هذا التغير؟ وما عوامل هذا التغير والأبعاد المؤثرة في حدوثه؟

كل هذه الإشكالات فرضت علينا الخوض في الموضوع ومعالجته معالجة علمية دقيقة، مسترشدين في ذلك بتراثنا الثقافي العظيم الذي خلفه لنا علماؤنا مفرقا بين العديد من المصادر والوثائق والمصنفات.

ونظراً لأن هذا البحث يقوم على دراسة ومعرفة الأحوال والأحداث التي جرت في الماضي، وأن التاريخ علم يبحث عن الحقيقة من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها وتفحصها والتحقق منها ونقدها وتحليلها, من هنا فإن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التاريخي، فضلاً عن المناهج العلمية الأخرى التي قد يتبعها الباحث لتقديم المعلومة المفيدة وهي:-

1- المنهج الوصفي التحليلي: والذي يقوم بوصف الظاهرة التاريخية بعد التأكد من وقوعها وتحليلها واضعاً في الاعتبار العديد من التساؤلات: ماذا حدث؟ ولماذا حدث ؟ وكيف حدث ؟ وما الذي ترتب على ما حدث؟
2- المنهج المقارن: والذي يقوم على المقارنة بين الحدث التاريخي مع مثيله لبيان ما له وما عليه مؤكداً أن الدراسة المقارنة هي خير تفسير للحدث التاريخي، عن طريق مقارنة مصادر البحث، والروايات التاريخية وكتابات الأقدمين والمعاصرين، والآراء المختلفة، والمدارس الفقهية والسياسية، وتعدد وجهات النظر.

المنهج الاسترداديّ: ويقصد به استرداد الواقعة التاريخية وفقا لظروف وقوعها والحكم عليها من منطق هذه الظروف لا من وجهة نظرنا في الزمن المعاصر الذي نعيش فيه.

وأخيرًا عمد البحث بعد المقدمة إلى عرض عناصر الدراسة, تمثلت هذه العناصر في إعطاء نبذة تاريخية مختصرة عن الموقع الجغرافي لقبيلة الزنتان, ثم تطرق إلى المعارك التي شارك فيها مجاهدو الزنتان خارج منطقتهم على النحو الآتي: الفتنة بين أبناء الشعب الليبي بسبب نجاح الطليان في استقطاب بعض الشخصيات البارزة والمؤثرة في بعض المناطق الليبية, أعيان الزنتان ومحاولة إصلاح ذات البين بين مناطق الجبل بتاريخ 1921/8/4م, والذي تلته معركة الوخيم والجوش من 3 إلى 12 يونيه 1922م, ومعركة الجوش 30 مايو 1922م, ومعركة السلامات 18 يونية 1922م, ومعركة أم الجرسان 30 أكتوبر 1922م, وأخيراً مصادر ومراجع البحث.

نجاح الطليان في استقطاب بعض الشخصيات التي أدت إلى الفتنة وإشعال نار الحرب بين أبناء الجبل الغربي:

بعدما فشل القادة العسكريون في السيطرة على الأراضي الليبية كما كانوا يتوقعون, برز دور الساسة الإيطاليين في لعب دورهم السياسي والمتمثل في إذكاء الفتنة بين أبناء ليبيا, من باب (فرق تسد) وبالفعل نجحوا في ذلك, ففي منطقة الجبل الغربي مكان الدراسة أشعل الإيطاليون الفتنة مستغلين في ذلك اختلاف النسيج الاجتماعي فيما بات يُعرف بالعرب والبربر, وحاولوا إقناع كل منهما بطرد الآخر, انطلت هذه الأكذوبة على بعض القيادات التي استطاعوا استمالتها لهم أمثال يوسف خربيش الذي أفنى عمره في خدمة الطليان وخير دليل على ذلك ما ورد في مجلة ليبيا المصورة تحت عنوان (وفاة الغران كردوني يوسف خربيش) تقول فيه: "توفي في أوائل هذا الشهر بمدينة طرابلس الغران كوردوني يوسف خربيش عن سن تناهز السبعين عاماً قضي منها ما يزيد عن ربع قرن في خدمة إيطاليا في الميدانين العسكري والسياسي, خدمات جليلة متوالية تشهد له بالذكاء والحزم والجد, وقد

كافأته الحكومة الإيطالية على إخلاصه بأسمى الرتب وأحاطته بأوفر مظاهر التقدير والاعتبار, وكان الاحتفال بتشييع جنازته دليلاً آخر على ما للفقيد من مكانة لدى الحكومة والأهالي",[2] وقد نعاه (غراسياني) في برقية بعث بها إلى (بروني) نائب الحاكم بطرابلس جاء فيها:

"تلقيت بحزن وأسف عظيمين نبأ وفاة يوسف خربيشة الذي أسدى خدمات جليلة للحكومة في الميدان العسكري والسياسي فأرجو أن تعبروا لأسرته ولوجهاء المسلمين عن إحساساتي هذه وأن تنوبوا عني في حفلة تشييع جثمان الفقيد"

التوقيع

غراسياني.

كما أثر هؤلاء الساسة على العديد من قادة الجهاد في الجبل الغربي مكان الدراسة أمثال سليمان الباروني وخليفة بن عسكر اللذين وقفا ضد الغزاة الطليان في بداية الأمر, وتم إقناعهما بالتخلي عن حركة الجهاد والوقوف مع الطليان ضد العرب, أي ضد سكان الجبل المعارضين للتدخل الأجنبي, وبعدما نجح الإيطاليون في مهمتهم صارت المراسلات تتبادل بينهم وبين سليمان الباروني وخليفة بن عسكر بغرض القضاء على المجاهدين والسيطرة على كل التراب الليبي, لأنهم أيقنوا بأنهم لا يستطيعون ذلك بدون وجود حاضنة لهم, وبالفعل وبعد مدة وجيزة قام سليمان الباروني بالاتصال بالإيطاليين فأرسل إليهم مذكرة أوردها غراسياني في مذكراته يقول فيها:

"أن لا مانع لديه من التسليم شريطة أن يعترفوا به أميراً على الجبل".

[2] مجلة ليبيا المصورة, ص23.

وبالفعل ترك الباروني ساحة القتال وسافر في 6 نوفمبر 1919م, إلى أسرته بتركيا عن طريق روما مصحوباً برسالة الوزير (روسي) إلى سفير إيطاليا بتركيا يقول فيها:

"إلى صاحب الدولة الكومندتور (فيجي مايه) المندوب الإيطالي العالي في الأستانة.

يا صاحب الدولة.

إن سليمان باشا الباروني من أكبر رؤساء القطر الطرابلسي نفوذاً قادم على طرفكم لأجل أخذ عائلته الكريمة إلى طرابلس.

إن في هذا الزمان الأخير قد اجتهد بخلوص نية وعظيم فعالية لأجل تسكين الخواطر وتنفيذ دستور الحرية. إني أوصيكم عليه كل الايصاء راجياً أن تساعدوه كل المساعدة في كل ما يحتاج إليه هو وعائلته. كما وأني أوصيكم عليه كونه رجلاً نجيباً لدولتكم أن تقوموا معه بمساع حميدة في صالح إيطاليا وتركيا اللتين تدعوهما الآن دواع عديدة إلى طلب ائتلاف صادق وأعمال نافعة.

إن في هذا الباب على اتفاق رأي مع وزير الخارجية وقد شاهدت حسن استعداد في سليمان باشا الباروني الذي ذاكرته طويلاً عدة مرات فوجدته رجلاً مستقيماً ثابت الفكر عالي الهمة ذا عواطف سامية.

هذا واقبلوا جزيل احترامي"

روسي

وفي روما تلقفته السلطات الإيطالية ووضعت له برنامجاً حافلاً فأقسم على إخلاصه للعلم الإيطالي, وفي نابولي وقف أمام الرسام (ب. فارسيته) فقام برسمه ثم تكرم الباروني بالتوقيع على الصورة, ثم زار قبر الملك (غمانويللي) بمقبرة ملوك

إيطاليا ووضع عليها أكاليل من الزهور وكتب في سجل الرواد مرثاه بالعربية ترجمت وأحضرت إلى الملك (فيكتوريو أمانويللي) قال فيها:

عش أيها الشعر الجليل مترسلاً كالسلسبيل

تحكي ظلاماً شقه قمر له طرف كحيل

تحيي شعوراً لم يزل هو الحياة لكل جيل

دم شاكراً ملكاً سما ويتوريو عمانويل

أعطي طرابلس العزيزة حقها أسدى الجزيل

فليحي تاجاً للممالك سالكاً أهدى سبيل

وليبق منصور اللوا وبجيشه الدنيا تسيل[3]

وعند وصل الباروني إلى تركيا قابله الأتراك بتجهم وقطعوا عنه راتبه كعضو في مجلس المبعوثان وذلك نتيجة للتقارير التي وصلتهم عنه, والتي تفيد بأنه ترك الجهاد وانحاز إلى أعداء الإسلام, ولكنه وجد كل المساعدة من السفير الإيطالي بتركيا فحمل عائلته ورجع إلى طرابلس وأصبح المنفذ الرئيسي لسياسة إيطاليا فيها, فاتجه فور وصوله إلى مدينة زوارة وترك أسرته هناك مع عائلات خربيش وابن شعبان وتوجه إلى مدينة نالوت عن طريق العسة في أوائل شوال 1338هـ الموافق شهر جانيو 1920م, للتوسط بين خليفة بن عسكر والطليان, فاجتمع به اجتماعاً مطولاً واستطاع أن يقنعه بالعودة إلى الإيطاليين, خاصة وأن البربر ينظرون إلى رأي الشيخ الباروني على أنه رأي ديني باعتباره من شيوخ المذهب الأباضي, وعقب الاتفاق مع خليفة بن عسكر أرسل الباروني بمجموعة من الرسائل مستبشراً بهذا الاتفاق إلى كل من عبدالله بن شعبان ويوسف خربيش, وكومندان مركز العسة,

[3] مجلة المصور الايطالية, ص19.

وكومندان بوالشول, وعامر المعكف, ووالي الولاية, والكولونيل (ميزيتي), ومدير العجيلات, وعبيدة المحجوبي, وفي جميع هذه الرسائل يقول الباروني: إن ابن عسكر قد اتفق معه وهو متجه به إلى مدينتي كاباو والحرابة وبقية المناطق في الجبل لتعزيز موفقه.

وهذه إحدى رسائله للوالي بتاريخ 2 من شوال 1338 هـ والتي يقول فيها:

"دولة والي الولاية الأفخم حفظه الله, وصلت زوارة ثم نالوت ولاقيت من التسهيلات في الطريق ما يجعلني أشكر الكولونيل (ميزيتي) والماجور (سيترللا) ماجورا العجيلات, ووجدت ابن عسكر كان عازماً على الحركة على الشيخ سوف في الجيش لأنه أكثر من التعدي على المهاجرين وأهالي قضاء نالوت. ولكن لمَّا سمع ابن عسكر بوصولنا زوارة توقف عن الحركة والشيخ سوف انتقل بمن معه إلى يفرن والآن الأحوال ساكنة وابن عسكر متوجه معنا بنفسه إلى كاباو والحرابة وقد استحسنت تأخيره عن القدوم إلى أن وصلنا الحرابة. ومن كاباو نرسل إليكم يوسف أفندي إن شاء الله ودمتم سالمين. التوقيع سليمان الباروني.

وبمجرد ما أن لحق خليفة بن عسكر الطليان قام بمراسلتهم بالعديد من الرسائل, فاخترنا من بين هذه المراسلات مراسلة الوالي الإيطالي (منزنجر) له في 7 من نوفمبر 1919م, والتي كانت لهجتها ودية وتشاوريه وهذا نصها: "إلى حضرة المحترم خليفة بن عسكر قائمقام قضاء نالوت, نشكركم كثيراً على جوابكم المؤرخ في 28 أكتوبر, وقد صرنا مسرورين جداً على ما أكدتموه لنا مرة أخرى من إحساساتكم نحو الحكومة, وأن ما فعلته الحكومة نحو أخيكم فهو من ثقتنا واعتبارنا العالي لكم ومن اعتمادنا عليكم في المستقبل, وأن الأهمية العظيمة التي نعلقها على حضرتكم هي المعاونة الجدية التي نآملها لكم في كافة المسائل النازكة المتعلقة بالحدود, وبناء على هذا فنحن ندعوكم للمجيء إلى طرابلس بما أمكن من السرعة لأجل المذاكرة معكم في هذا الشأن وترتيب الصورة التي يمكن بها اتخاذ التدابير

اللازمة لمحافظة الحدود الغربية, وبينما نحن في انتظار زيارتكم لنا نهدي إليكم مزيد السلام. طرابلس في 7 نوفمبر 1919م التوقيع بالإيطالي الوالي (منزنجر).

فرد عليه خليفة بن عسكر برسالة بتاريخ 2 من شوال 1338 هـ يقول فيها:

"دولة والي ولاية طرابلس الأفخم, وبعد عرض الاحترام نقدم أنه شرفنا سليمان بك الباروني. وأفهمنا ما يلزم وزوال سوء التفاهم الواقع بأسباب الناس الذين لا يسعون إلا في الفساد وإحداث الفتنة بين الدولة والأهالي لينفذوا أغراضهم ويملئوا جيوبهم. وسنعرض لدولتكم الحقائق كلها عند القدوم إلى طرفكم. والآن متوجه مع البك المذكور إلى جهة كاباو والحرابة حسب رغبته والسلام" 19 جانيو 1920م - 2 شوال 1338هـ, التوقيع قائمقام لالوت, خليفة بن عسكر.

كما أرسل رسالة أخرى إلى الكولونيل (مازيتي) يقول فيها:

"إلى جناب الكولونيل (مزيتي) المحترم.

السلام عليكم, وقد شرفنا المحترم سليمان بك الباروني وذكر لي ما عندكم نحوي من حسن النية والمقصد الحسن نحو قضائنا, وهذا ما كنت نؤمله من جانبكم نظراً لعقلكم ودرايتكم وحبكم للإصلاح ربنا يبارك فيكم وقد زال سوء التفاهم الذي كان حصل بسبب بعض المفسدين الذين يدَّعون الصدق والإصلاح وعند الملاقاة تفهمون الحقيقة والسلام" 19 جانيو 1920م – 2 شوال 1338هـ. التوقيع قائمقام لالوت, خليفة بن عسكر.

توجه خليفة بن عسكر مع الباروني إلى كاباو, ومنها أرسلوا العديد من الرسائل للمسئولين الإيطاليين يعلمونهم فيها بحركتهم مع الطليان لضرب كل من وقف ضدهم, كما أرسل خليفة بن عسكر رسالة إلى يوسف خربيش ليعلمه أن الباروني قد تدخل للصلح بينهما يقول فيها:

"إلى أخينا يوسف بك خربيش

السلام عليكم وصلنا الباروني بك وأفهمنا بالأحوال كلها وزال سوء الظن الذي كان بسبب أعمال بعض المفسدين وصرت ممنوناً بما أخبرني به المذكور من اجتهادكم في مصلحتنا ومصلحة العموم, وهذا هو المأمول منك, وإن شاء الله نجتمع في ساعة سعيدة"

6 شوال 1338هـ التوقيع قائمقام لالوت, خليفة بن عسكر.

وبالفعل نجح الإيطاليون في إشعال نار الفتنة بين أبناء الوطن الواحد والذين وقفوا ضدهم صفاً واحدًا في البداية, فقام سليمان الباروني وخليفة بن عسكر بتعبئة قواتهم للقضاء على مجاهدي الجبل الرافضين للطليان, فتوجهوا إلى كاباو ثم الحرابة فالرحيبات ففساطو وفي يوم 17 شوال 1338هـ أرسل الباروني رسالة إلى يوسف خربيش يعلمه بالتحرك ناحية الشرق هذا نصها:

"يوسف بك خربيش السلام عليكم وصلنا الرحيبات بعد أن مررنا على السلامات والفياصلة واستقبلونا باحتفال كسائر البلاد التي قبلهم والآن في الحرابة مركز الرحيبات ننتظر قدوم أعيان فساطو لنتوجه نحن وأعيان الرحيبات وسيتم الصلح بين الجميع ومن جادو نعرفكم أحوال الناس على الإطلاق طيبة متحدة إلا بعض أفراد مخصوصين الذين اعتادوا السلب باسم الحكومة حتى ملت منهم الأهالي ونفروا الحكومة خصوصاً الزندرمة, ولولا مجيئنا هذا بلداً بلداً لحصل من الهرج ما تكون عاقبته وخيمة على البلاد خصوصاً بعد إشاعة غريان وسنصل إلى يفرن ومعي ابن عسكر والأعيان لآني رأيت في هذه الحركة صلاحاً وراحة للحكومة والأهالي والله الموفق.....جاءتني جوابات من الشيخ أحمد البوسيفي (أي أحمد العياط نصف البوتسعين) ومشايخ المشاشية يطلبون سرعة قدومي إليهم في وجه السرعة, وكذلك جوابات من يفرن, ولذلك سأسرع في التوجه إليهم".

التوقيع سليمان الباروني

وبهذا استطاع سليمان الباروني أن يضم أغلب مناطق الجبل تحت لواء الطليان, وأثر على المجاهد خليفة بن عسكر لأسباب مذهبية, وجعله يمد يده صاغراً للإيطاليين ويصالح يوسف خربيش الذي خرج من جادو مطروداً وانضم للإيطاليين منذ عام 1916م وحارب في صفوفهم صديقاً حميماً, وانتقلوا في رحلة مكوكية من نالوت إلى كاباو إلى طمزين إلى جريجن إلى الخربة إلى تمزدة إلى ويفات إلى رقرق إلى مزو في محاولة لضم كل هذه المناطق تحت سيادتهم, وفي فساطو تم الصلح, وكان الباروني ينوي التوجه إلى يفرن للقاء بأولئك الذين انضموا للإيطاليين عام 1916م بقيادة ساسي خزام, إلا أن (الماجور وللينو) طلب منه التوجه إلى طربلس فرد عليه الباروني برسالة مستغرباً ما جاء فيها بقوله:

"جناب الماجور وللينو

السلام عليكم. وصلنا اليوم فساطو, وهنا تسلمت جوابكم وتعجبت مِمَّا ذكرتموه من أمر التصرف بلزوم توجهنا إلى طرابلس وعدم جواز بقائنا في فساطو وفي يفرن ولا أعلم أنه يوجد سبب يقضي ذلك يسوغ هذا الأمر, وعلى كل حال نفهمه منكم أو من الولاية عند توجهنا إليها. ولا أعتقد أن مقام الولاية يقبل يوماً ما هذه الأوامر والإجراءات الكيفية, ونحن بلد ذات قانون حر مربوطة بدولة حرة دستورية ودمتم سالمين" التوقيع سليمان الباروني.

نخلص مِمَّا سبق أن الإيطاليين نجحوا في إشعال نار الفتنة بين أبناء الوطن الواحد بعد استمالتهم للعديد من الشخصيات البارزة والمؤثرة التي ساعدت على تفتيت النسيج الاجتماعي الليبي مِمَّا ساعدهم على تحقيق أهدافهم بأقل الإمكانيات.

أعيان الزنتان ومحاولة إصلاح ذات البين بين مناطق الجبل بتاريخ 1921/8/4م

كان النضال الوطني التحرّري للشعب الليبي خلال عشرينات القرن العشرين نضالاً ضد الفاشية الامبريالية المدعمة بأحدث الأسلحة, وبالإضافة إلى العمليات العسكرية كان الإيطاليون يستخدمون وسائلهم السياسية الموجهة نحو شق صفوف

المجاهدين استخداماً واسعاً, فقد نجح الساسة الإيطاليون كما سبقت الإشارة إلى ذلك من ضم أغلب المناطق الجبلية إليهم, ولعلاج هذا الشرخ الذي مزق الصف الواحد, قام بعض من أعيان الزنتان بقيادة الشيخ الجليل أحمد البدوي أحد أعيان الزنتان وأحد أعضاء لجنة الشورى بإيجاد مبادرة صلح تمنع اقتتال الجيران أبناء الوطن الواحد, وتعمل على وقف إراقة الدماء, وتوحد الصف للوقوف ضد عدوهم المشترك, فبادروا بعقد اجتماع لهم بظاهر بلدة الرياينة بتاريخ 1921/8/4م, تم فيه اختيار لجنة من قبل هيئة الإصلاح المركزية, حضر هذا الاجتماع وباركه كل من: الشيخ أحمد البدوي الأزهري, والشيخ بشير السعداوي, والشيخ عبدالعاطي الجرم الحسوني, والشيخ محمد افكيني والشيخ سالم بن عبدالنبي, والشيخ أحمد السني, والشيخ محمد الإمام, والشيخ علي الشنطة, والشيخ محمد المحروق, والشيخ عمر الغز وغيرهم, في محاولة منهم لإصلاح ذات البين بين قبائل وقرى الجبل الغربي التي انجرت وراء الفتنة الأهلية التي تم تغذيتها من قبل الغزاة الطليان تنفيذاً لنظريتهم فرق تسد, إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل للتأثير الفعال للإيطاليين على بعض قادة هذه المناطق ففضلوا موالاة الغزاة مقابل المال والجاه بدلاً من الجهاد في سبيل الله ولتحقيق الوحدة الوطنية.

معركة الوخيم والجوش من 3 إلى 12 يونيه 1922م

الجوش هي إحدى مناطق الصيعان تقع أسفل الجبل الغربي يحدها شمالاً سهل الجفارة وجنوباً الحرابة, وشرقاً شكشوك, وغرباً تيجي, وصلتها القوات الإيطالية الغازية بكامل أسلحتها وعتادها ومن معهم من الأحباش والمجندين الليبيين يوم 12 يونيو سنة 1922م بقيادة الجنرال (غراسياني) فيما بات يعرف بحرب الاستعادة أو الاسترداد, فتصدى لها المجاهدون من الصيعان وأحلافهم الزنتان والرجبان والحرابة, والسبعة والغنائمة والقنافيد والعواتة والفياصلة, وأبلى المجاهدون بلاً حسناً وتمكنوا من صد الإيطاليين, وعندما عجزت إيطاليا عن التقدم استخدمت السلاح الجوي الذي أجبر المجاهدين إلى التقهقر نحو شكشوك, وفي الساعة الواحدة

بعد الظهر تمكن الإيطاليون من احتلال قصر الجوش بعد انسحاب المجاهدين منه, اعترفت القوات الإيطالية بأنها تكبدت خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات[4].

وقد وصف التليسي هذه المعركة في كتابه بعد القرضابية بقوله: "معركة الجوش وهي من المعارك التي دارت في هذه المنطقة دفاعاً عن الجبل, وقد بدأت المعركة عند الساعة الثامنة والنصف من يوم 12 يونيو عندما قامت مجموعة من المجاهدين بمهاجمة الجناح الأيمن لقوات جراتسياني, وقد أخذت قوات المجاهدين تتزايد بذلك العدد الذي تحول عن وادي الوخيم إلى المواقع الجديدة وكانت مؤلفة من الزنتان والرجبان والحرابة والصيعان وغيرهم"[5].

أما وصف الاجدل لهذه المعركة كما جاء في كتابه سالم بن عبدالنبي نقلاً عن أحد مجاهدي الزنتان الحاضرين لهذه المعركة وهو المجاهد الشيخ محمد الصغير العائب بالقول: "كان المجاهدون في انتظار العدو الإيطالي بالوخيم في رأس الوادي بمكان يسمى (الصليعات) وقد هجم الإيطاليون بقوات المشاة والفرسان وكانت الطائرات فوقهم ..... وكانت هذه الطائرات تصوب الرشاشات على المجاهدين بينما جفلت الخيول وكأنما أُصيبت بالجنون بسبب أزيز الطائرات..... ومع ذلك فقد صمد المجاهدون أمام العدو وجبروته وردوا الإيطاليين في اليوم الأول فعادوا إلى سواني الكردي قرب (غدو) وقد بدأوا يحفرون تلك السواني بحثاً عن الماء.

وفي الصباح أرسل الإيطاليون فرقة مسلحة قوامها 140 مسلحاً تدعمهم فرقة الفرسان حوالي 100 فارس فاصطدموا بالمجاهدين من الزنتان والرجبان والسبعة والغنائمة والقنافيد والعواتة والفياصلة وبعض السلامات وأولاد شبل وغيرهم في وادي الوخيم الذي يبعد ثمانية كيلو مترات عن الجوش"[6]

---

[4] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, ص75.

[5] التليسي: بعد القرضابية, ص 84 - 85.

[6] الدكتور عبدالوهاب الزنتاني, سالم بن عبدالنبي, ص 130.

شارك العديد من القادة في هذه المعركة منهم الشيخ محمد افكيني, والشيخ سوف المحمودي, والشيخ أحمد السني[7], وصل عدد المجاهدين المشاركين في هذه المعركة إلى حوالي (1500) مجاهد مقابل 6500 مقاتل من العدو على النحو الآتي:

84 ضابطاً إيطالياً.

900 جندي إيطالي.

2089 من المجندين الملونين (أي غير الإيطاليين).

3000 من رجالات المحلات التي جندها مياني والمسماة ب(الباندات).

250 فارساً من المجندين الخونة.

12 مدفعاً.

2000 جمل محملة بالمؤن والذخيرة[8].

وقد وصف الجنرال غراسياني صمود المجاهدين الأبطال في هذه المعركة بقوله: "أنهم أقوام محاربون زادت من جرأتهم الانتصارات التي حققوها ضدنا سنة 1915م"[9].

كلفت هذه المعركة المجاهدين الكثير من الشهداء والجرحى, فكان العديد منهم من مدينة الزنتان نذكر منهم: علي العرعود, ومحمد أحمد بن الحاج, وأبوالقاسم أبو تالولة, وأبوبكر بن عبدالقادر, والهادي أبودربالة, وعبدالله التركي, وإبراهيم القرج[10].

---

[7] التليسي: مرجع سابق, ص 85.

[8] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, ص216.

[9] غراسياني: مرجع سابق, ص123.

[10] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, 225.

معركة الجوش 30 مايو 1922م

من المعارك الهامة التي دارت أسفل الجبل الغربي في منطقة الجوش, حدثت مباشرة بعد معركة الوخيم, وقد ذكرها الجنرال غراسياني بقوله: "كان عليَّ أن اختار بين طريقين إما أن انقض مباشرة في اتجاه الوخيم حيث كان الخصم ينتظرنا في مواقع محصنة مجهزة تسيطر على مداخل جادو عن طريق شكشوك وطريق الجوش, وإما أن اتجه مباشرة إلى الجوش عن طريق العين الجديدة. وقد اخترت الحل الثاني الذي يسمح لي بالمبادرة في المعركة, ويرغم الخصم على تغيير مواقعه"[11] وقد تطرق التليسي لهذه المعركة بقوله: "اضطر الجنرال غراسياني إلى تأجيل الزحف على الجوش بسبب المتاعب الكبيرة التي تعرضت لها حشوده من جراء معركة الوخيم, ولم يتحرك نحو الجوش إلا بعد أن وصله المزيد من الدعم, وبعد أن تحسنت الأحوال الجوية بما ساعده على استغلال الطيران إلى أبعد مدى ممكن"[12], ويضيف التليسي: "بدأت المعركة عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً من يوم 13 يونيو 1922م عندما قامت مجموعة من المجاهدين بمهاجمة قوات غراسياني, وقد أخذت قوة المجاهدين تتزايد بذلك العدد الذي تحول من الوادي الوخيم إلى المواقع الجديدة, وكانت حملات المجاهدين مؤلفة في أغلبها من الزنتان والرجبان والصيعان والحرابة وغيرهم"[13].

أبلى المجاهدون بلاً حسناً في هذه المعركة, وثبتوا أمام القوات الغازية المجهزة بأحدث الأسلحة والمعدات مِمَّا أجبر الجنرال غراسياني إلى استخدام السلاح الجوي على نطاق واسع, وقد اعترف غراسياني بصمود المجاهدين أمامه, والدليل على ذلك استعماله للسلاح الجوي في هذه المعركة لتكون في صالح قواته, وبالفعل تمكن من السيطرة على العين الجديدة التي تشكل مصدراً هاماً للمياه بعد خسارتهم للعديد

---

[11] غراسياني: مرجع سابق, ص 156.

[12] التليسي: معجم معارك الجهاد, ص 278

[13] التليسي: المرجع نفسه, ص 279.

من الضباط والجنود, وفي المقابل استشهد العديد من المجاهدين وجُرِح آخرون نذكر منهم الشهيد محمد بن عبدالواحد من الزنتان كما جرح كل من علي بن حمد وأحمد العرعود وهما من الزنتان أيضاً[14].

معركة السلامات 18 يونية 1922م

شارك مجاهدو الزنتان إخوتهم في هذه المعركة والتي وقعت في منطقة السلامات في الجبل الغربي, وبعد الاحتلال الإيطالي لمدينة الجوش بثلاثة أيام تقدمت القوات الإيطالية نحو مدينة السلامات بقصد الالتفاف لاحتلال جادو, ومن ثم الزحف على يفرن وغريان بعدما سقطت هذه المناطق بأيدي المجاهدين خلال سنوات الانكسار الإيطالي 1913م - 1914م - 1915م[15].

وعلى الرغم من الهزيمة التي تكبدها المجاهدون في معاركهم السابقة إلا أنهم عملوا على أخذ زمام المبادرة فقاموا بإعادة تنظيم أنفسهم وتحولوا في حركة سريعة يوم 18 يونيو 1922م نحو السلامات للسيطرة على منفذها الاستراتيجي لمنع العدو من الصعود إلى الجبل, الشيء نفسه فكر فيه غراسياني إذ بادر بإرسال قوة للسيطرة على هذا المنفذ الجبلي الهام لتأمين زحف قواته نحو الجبل, قاد قوات العدو في هذه المعركة الجنرال غراسياني بمعاونة الخائن يوسف خربيش حيث اندلعت معركة عنيفة بينه وبين المجاهدين يوم 18 يونيه من نفس العام استمرت من الفجر إلى الساعة الرابعة مساءً, ورغم استبسال المجاهدين إلا أن المعركة انتهت بسيطرة القوات الإيطالية ومن معها بسبب التفوق في العدد والعتاد والدعم الجوي[16].

وصف الجنرال (غراسياني) هذه المعركة بقوله: "في صباح يوم 17 كنا نصعد الجبل الطرابلسي للمرة الأولى منذ سنة 1915م عن طريق ممر السلامات بالألاى

---

[14] الاجدل عبدالوهاب: سالم بن عبدالنبي, ص 138.

[15] التليسي: نفس المرجع, ص280.

[16] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, ص221.

الذي كان يتألف من الكتيبة الاريترية الرابعة والكتيبة الليبية الأولى وجماعات الخيالة (السباهيس) وقسم من مدفعية البطارية الثانية بعد أن تركنا في واحة الجوش الكتيبة الليبية السادسة لحماية القاعدة"[17]

هدفت إيطاليا من هذه الحملة إلى الآتي:

1. السيطرة على الحدود الليبية منعاً لتهريب الأسلحة وتسرب المجاهدين من الأراضي التونسية.
2. محاولة تجريد الأهالي من أسلحتهم.
3. تنفيذ الخطوات الأولى لإعادة احتلال مناطق القبلة والاتجاه لاحتلال خط يفرن وغريان وترهونة (الخط الجبلي).
4. استغلال أعمال الرعب والقسوة الإيطالية في محاولة منه لإرغام الأهالي على الاعتراف بالحكومة الإيطالية والانضواء تحت لوائها[18].

معركة أم الجرسان 30 أكتوبر 1922م

تقع مدينة أم الجرسان في الجبل الغربي تحدها القلعة من الشمال, والغنائمة من الغرب, وككلة من الشرق, والطريق الرئيسي المؤدي إلى الأصابعة من الجنوب, تعتبر أم الجرسان من أحلاف الزنتان منذ القدم وتبعد عنها بحوالي 45 كم تقريباً, تعتبر هذه المعركة من المعارك الهامة التي تصدى فيها المجاهدون للغزاة الطليان, قاد هذه المعركة الجنرال غراسياني وثلاثة مساعدين هم الكولونيل بيتزاري والكولونيل جالينا, والكولونيل بيللي, تكونت هذه القوة من 7400 جندي و600 فارس مزودة بعشرات المدافع بالإضافة إلى الدعم الجوي, تكونت قوة المجاهدين من 1000 مجاهد من قبائل الزنتان والرجبان وأم الجرسان والرحيبات والغنائمة

[17] غراسياني: مرجع سابق, ص 215

[18] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, ص 221.

والقواليش وتاغمة, والشقارنة والقديرات والسبعة وأولاد عطية والمحاميد تحت قيادة العديد من القادة منهم أحمد السني, وعون سوف, وعلي الشنطة, وأحمد الصيد, وعبدالله تمسكت, وامحمد الجرساني, وخالد القرقني, وفي يوم 29 أكتوبر 1922م وصلت القوات الإيطالية إلى العوينية, وتقدمت إلى تاغمة حيث تمركزت في بفاسات, وفي فجر يوم 30 أكتوبر التحم المجاهدون بالإيطاليين في أم الجرسان بعدما قامت القوات الإيطالية بدك أم الجرسان بالمدفعية تمهيداً لدخولها, تصدى لهم المجاهدون وأبلوا بلاءً حسناً دفاعاً عن الأرض والعرض, اتسعت ساحة المعركة في رقعة واسعة امتدت من الرومية غرباً وحتى مرتفعات ككلة شرقاً, استمرت المعركة يوماً كاملاً ولم تستطع القوات الإيطالية التقدم إلى الأمام خطوة واحدة, وفي اليوم التالي استعمل الإيطاليون السلاح الجوي مِمَّا أجبر المجاهدين إلى الانسحاب شرقاً, كلفت خيالة العدو بقيادة بيتزاري بمهاجمة عائلات المجاهدين المتواجدة بككلة فاستطاع المجاهدون الأبطال رد هذا الهجوم وتكبيد العدو خسائر فادحة, كانت حصيلة هذه المعركة من جانب المجاهدين 200 شهيدًا و230 جريحاً, ولم تحدد المصادر قتلى أو جرحى العدو الإيطالي[19].

متابعة القوات الإيطالية لمجاهدي الزنتان والرجبان أثر توجههم إلى القبلة

بعد سقوط أغلب مناطق الجبل في أيدي الإيطاليين ونجاحهم في استمالة العديد من القبائل إليهم, فضل مجاهدو الزنتان والرجبان التوجه إلى أراضي الزنتان في القبلة والمتمثلة في مزدة والقريات والطابونية وطبقة, وهذا ما أكده الجنرال (غراسياني) في كتابه نحو فزان بقوله: "بعد احتلال الجبل الغربي تم نزوح جميع أهالي الزنتان والرجبان إلى القبلة"[20], مفضلين حياة الشرف بمشاقها ورافضين الخضوع والاستسلام لمن احتل أراضيهم وقراهم, فالقبلة تعتبر من المناطق الهامة في ليبيا فهي منطقة صحراوية بها العديد من الأودية الصالحة للزراعة, وتربط

[19] لجنة من الباحثين: مرجع سابق, ص227 - 228.

[20] غراسياني: مرجع سابق, ص 123.

السهل الساحلي بالمناطق الجبلية في الشمال بمنطقة فزان في الجنوب, ويقطن القبلة عدد من القبائل منها الزنتان وأولاد بوسيف, والمقارحة وغيرهم من القبائل, أعطى نزوح أهالي الزنتان والرجبان الفرصة لسليمان الباروني الذي انضم إلى الطليان ليصبح حاكماً مطلقاً على كل المنطقة من يفرن إلى وازن, وخاصة بعدما استمال صديقه خليفة بن عسكر, كما أرسل الهدايا لأحمد العياط ومحمد بن حسن المشاي لاستقطابهم إلى جانبه, وبعدها تجاهل وجود كل من الشيخ محمد سوف المحمودي المقيم (بتاغمة) بيفرن باعتباره مسئولاً عن المنطقة منذ أيام الجهاد الأولى, والمتصرف علي بن تنتوش, شجعت هذه الإجراءات أهالي فسطو المواليين للإيطاليين بالإغارة على أرزاق الزنتان والرجبان بعدما فضلوا الرحيل إلى القبلة وهذا ما يفهم من رسالة سليمان الباروني إلى والي طرابلس الغرب الإيطالي الصادرة من مركز الرياينة بتاريخ 1 جماد الثاني 1339هـ, والتي يقول فيها:

"دولة والي ولاية طرابلس الأفخم وفقه الله, بعد إهداء سلامي, ابدي أنه طالت غيبتكم في روما كثيراً وأقول لعل ذلك من اشتغالكم بما يعود على هذه البلاد بالراحة والعمران وفقكم الله إلى كل خير ..... لقد أعدت غنماً كثيرة لبعض الزنتان والرجبان والصيعان والقديرات وغيرهم التي كان أغار عليها أهل فسطو"

التوقيع صديقكم. سليمان الباروني.

وفي محاولة للقضاء على المجاهدين أعطيت الأوامر للقوات الإيطالية من قبل القائد (غراسياني) بالتوجه إلى القبلة, مبتدئة بسيناون وغدامس والطابونية ومزدة والقرية وطبقة ثم الجفرة ومنها إلى فزان, أراد الجنرال (غراسياني) أن يتفادى الأخطاء التي وقع فيها سابقه (مياني) أثناء حملته على فزان في السنوات الأولى من بداية الغزو, حيث أتجه إلى فزان رأساً بعد سيطرته على مصراتة مروراً بالعديد من المناطق وهي بوقرين وبونجيم والجفرة وصولاً إلى فزان, وبعد وصوله إلى فزان قُطع عليه خط الرجعة, مِمَّا أدى إلى هزيمته هزيمة نكراء, وهذا ما جعل الجنرال (غراسياني) يغير خطته ليتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها سابقوه,

كما ركز (غراسياني) في تكتيكه الجديد على استخدام العملاء والجواسيس من بعض الخونة من أبناء الوطن الليبي بعد استمالتهم إليه لكي لا يفقد رجاله ومعداته, وعندما انتهي (غراسياني) من إعداد قواته في أوائل فبراير 1924م أمَّر عليهم القائد الإيطالي (فولبي), تكونت هذه الحملة من كتيبة ارترية, ومجندين ليبيين لتكون الخسائر فيهم بدلاً من الإيطاليين, وزودهم بمجموعة بسيطة من الإيطاليين ضماناً لعدم خيانة المجندين غير الإيطاليين, وصل عدد هذه الحملة ألف من المشاة ومائتين وأربعين جملاً محملة بالذخائر والمؤن وسبعين من الخيل, اتجهت هذه الحملة إلى مناطق سيناون وغدامس حيث اصطدمت بالمجاهدين هناك, كانت المعركة غير متكافئة في العدد والعتاد فتمكن (فولبي) من احتلال هذه المناطق رغم بسالة أهلها.[21]

كانت القوات الإيطالية تخشى قوة المجاهدين في منطقة القبلة, أي في القرية وطبقة والطابونية وتعمل لهم ألف حساب بما يتميزون به من قوة وسرعة في الحركة والمعرفة الجيدة لأراضيهم بما فيها من ممرات ومسالك ومنابع للمياه بالإضافة إلى التكيف مع مناخ المنطقة, لذا سارعت القيادة الإيطالية بعد سيطرتها على غدامس بالتوجه إلى (القرية) و(طبقة) لكسر هذا الحاجز المنيع الذي وصفه (غراسياني) بحجرة الانفجار بالنسبة لطرابلس,[22] والمهدد للقوات الإيطالية المعسكرة في المناطق الشمالية, ونتيجة لهذه المخاوف شنت القوات الإيطالية هجوماً ضخماً على المجاهدين هناك إلا أن هجومها كاد أن يفشل وتعود قواتها خائبة لولا الجهود التي قامت بها المخابرات الإيطالية في تفريق الوحدة بين الإخوة, حيث تمكنت من تعميق الخلاف بين الزنتان والمشاشية وأولاد بوسيف[23], وبالرغم من أن

---

[21] محمد ظاهر المدني: الموسوعة الايطالية, جزء 21, ص 57.

[22] غراسياني: نحو فزان, ترجمة طه فوزي, مكتبة صايغ القاهرة, 1976م, ص 257.

[23] محمد ظاهر المدني: مرجع سابق, ص57.

إيطاليا استخدمت كل وسائلها لفتح الطريق أمام قواتها إلى فزان إلا أنها لم تتعد مزدة وغدامس وبعض المناطق القريبة منهما.

معركة العميان يوم 9 مارس 1924م

للحديث عن هذه المعركة الخالدة فضلنا الرجوع إلى ما كتبه الأجدل حيث كتب كتاباً كاملاً عن هذه المعركة بعنوان معركة العميان, قام فيه بنقل أحداث هذه المعركة من العديد من أولئك الذين عايشوا تلك الأحداث وشاركوا فيها, أو الذين سمعوا عنها من أبائهم, فاستهل الأجدل حديثه عن الزنتان والرجبان الذين فضلوا الهجرة إلى القبلة حيث دارت هذه المعركة بالقول: "أحد جيوش الطليان خرج على طريق الوديان وكان في هذا الجيش أحمد العياط ـ نصف البوتسعين ـ البوسيفي ويوسف خربيش ومحمد بن حسن المشاي وكان مع كل واحد من هؤلاء جماعات كثيرة من أنصاره كلُّفوا بمطاردة المجاهدين, وكان بين هؤلاء الرؤساء جميعاً وبين الحاج محمد فكيني ومن معه ثأر وثارات يطالبونهم بها, وقد اجتمع هذا الجيش في الوعسة وهي (فيما بين فساطو وبئر الكلاب وودّيات الخيل) وبينما هذا الجيش في طريقه يقتفي أثر الحاج محمد فكيني ومن معه ألتقي صدفة بالشيخ عمر الغز الزنتاني قادماً من الخور في طريقه إلى طبقة في جماعة قليلة من إخوانه عددهم واحد وأربعون رجلاً فرأى رؤساء الجيش أن أخذ هؤلاء لا يكلفهم إلا أن تمر عليهم الخيل وعربات المدافع فتطحنهم طحناً ثم يمر في مطاردة الحاج محمد فكيني, وماذا يعني واحد وأربعون رجلاً أمام جيش لا تقل خيله ورجاله عن أربعة آلاف مجهزين بما يكفي لهم من المدافع السيارات والرشاشات, ولكن {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله} وصدرت الأوامر بأخذ هذه المجموعة فتوجه الجيش نحوها, وبدأ الشر من الأحباش ومرتزقة خربيش وغيرهم, فعرّج الشيخ عمر ومن معه إلى منخفض من الأرض كان قريباً منهم وأنزلوا متاعهم من على الإبل وشدوا عقالها وأحاطوا نساءهم وأطفالهم بما معهم من المتاع وقاية لهم, ثم انتشروا في نواحي هذا المنخفض مِمَّا يقابل العدو, وأمسكوا ببنادقهم ووضعوا بالقرب منهم ما كان محمولاً

معهم من الخرطوش وهللوا وكبروا, وأنحبست الأنفاس, وخلا ما حولهم من كل شيئا إلا من أصوات الرصاص ودوي المدافع, تلك لحظة من أخطر اللحظات لا تتجاوز الثواني, أخذ العدو يهاجم بخيله ورجاله وسددت المدافع والرشاشات نحوهم, فكنت تسمع من ناحيتهم إحدى وأربعين طلقة من إحدى وأربعين بندقية في أيدي واحد وأربعين رجلاً, وكنت تسمع من الجيش الإيطالي مئات الألوف من الطلقات, من قنابل المدافع ورصاص الرشاشات والبنادق يرسلها عليهم جيش لا يقل عدده عن أربعة آلاف مقاتل", ويضيف الدكتور عبدالوهاب بقوله: "قد أخبرني السيد محمد العيساوي بوخنجر قال حدثني الشيخ عمر الغز أحد هؤلاء الأبطال يحكي عمَّا شاهده في هذه المعركة بالقول: كان العدوّ يهاجمنا في جماعات من الخيل وبينما نحن نشاهد صدورها وهي تشتد في عدوها نحونا إذا بالرصاص قد حصدها فترتمي على الأرض بمن عليها, وإذا بفلولها مدبرة لا تلوي على شيء, وكان يهاجمنا بصفوف من الرجال متراصة وإذا بهم على الأرض يتخبطون في دمائهم, واستمرّت المعركة من الصباح إلى نصف الليل في هذا القتال المميت, والدفاع المستميت, ويريد الله أن يكون لهؤلاء الأبطال رفقة ـ سبعة رجال تخلفوا عنهم لبعض الشؤون, وبينما هم في طريقهم إليهم, إذ سمعوا دوي المدافع فعلموا أنها معركة وأنها مع رفقائهم, فكان من تدبيرهم أن وزعوا أنفسهم وراء العدو في عدة أماكن وأطلقوا الرصاص ليوهموا العدو أنهم كثيرون وانطلت الحيلة على الطليان ووقع في روعهم أنها نجدة جاءت لإنقاذ المحاصرين فانسحبوا يجرّون ذيل الهزيمة, وبقي الأسود في مرابضهم جاثمين, ولما أنقطع إطلاق المدافع والرصاص فهموا أن العدو أنسحب فنهضوا من معاقلهم وتركوا خمسة من إخوانهم لحقوا بربهم في أسعد الأوقات وألذ ساعات الحياة, وهي ساعات الدفاع عن النفس والعرض, وكان من بين هؤلاء الشهداء الأستاذ الشيخ أبوالقاسم الرماح من علماء الزنتان وأعيانهم, وحفظ الله على هؤلاء الأبطال نساءهم وأطفالهم", ويخبرنا الدكتور عبدالوهاب على

أن خسائر العدو كانت: "ثلاثة وسبعين حصاناً قُتلت برصاص المجاهدين, وما يقارب عشرة أكوام من جثث الأحباش والمرتزقة"[24].

الخاتمة

نخلص في خاتمة هذا البحث إلى أن الوطنية والدفاع عن الوطن كان ولا يزال واجباً وطنياً لكل الليبيين, وقد عرض الباحث العديد من المعارك التي شارك فيها مجاهدو الزنتان إخوتهم في العديد من المناطق التي تعرضت للاحتلال الإيطالي خارج منطقة الزنتان موضحاً الترابط بين أبناء هذا الوطن ورفضهم لكل أجنبي, والوقوف معاً للهجمات التي تعرضت لها هذه المناطق على امتداد تاريخها البعيد, وقد خلص البحث إلى الآتي:

1. دفع العامل الوطني أبناء ليبيا إلى الوقوف معاً ضد الاحتلال.
2. رغم إتباع إيطاليا لسياسة فرّق تسد لضرب النسيج الاجتماعي إلا أنها فشلت في ذلك, ولم ينضم إليها إلا العدد القليل من اللاهثين وراء المال والسلطة.
3. أدت معارضة الليبيين للاستعمار الإيطالي إلى استعمال القوة, فخاض المجاهدون العديد من المعارك وسالت انهار من الدماء دفاعاً عن الوطن شارك فيها أغلب الليبيين الشرفاء من كل القبائل والمناطق دفاعاً عن أرض الوطن معتبرين أن كل شبر من ليبيا سواء كان في شرق البلاد أم غربها أم في شمالها أم جنوبها هو ملك لكل الليبيين وان القتال عليه هو واجب وطني تفرضه الضرورة.

المصادر والمراجع

[24] عبدالوهاب محمد الزنتاني: معركة العميان واحدة من المعجزات في تاريخ الجهاد الليبي, الأطلسية للنشر, 2007م, ص من 11 إلى 13

1. الأجدل عبدالوهاب محمد: سالم بن عبدالنبي, الأطلسية للنشر, 2006م.
2. الأجدل عبدالوهاب محمد: معركة العميان واحدة من المعجزات في تاريخ الجهاد الليبي, الأطلسية للنشر, 2007م.
3. التليسي خليفة محمد: معجم معارك الجهاد الليبي 1911 - 1931م, تونس, الدار العربية للكتاب, 1973م.
4. الجوهري محمد: علم الفولكلور, ج1, الأسس النظرية والمنهجية, دار المعارف, القاهرة, ط1, 1975م.
5. الطاهر أحمد الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب, ط3, بيروت, دار الفتح, 1973م.
6. غراسياني رودولفو: نحو فزان, ترجمة طه فوزي, مكتبة صايغ القاهرة, 1976م.
7. القشاط محمد سعيد: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى, طرابلس, مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء 1989م.
8. لجنة من الباحثين: السِّيَر والرد على التزوير, الدار الأطلسية ـ تونس, الطبعة الأولى, 2006م.
9. المدني محمد ظاهر: الموسوعة الايطالية, جزء 21, مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي, طرابلس ليبيا.

ثانياً: الصحف والمجلات

1. إيطاليا: الجريدة الرسمية لمملكة إيطاليا, العدد 986, أكتوبر 1911م.
2. جريدة طرابلس الغرب العدد 1099, 4 ذي الحجة 1322هـ.

3. مجلة الأفكار: العدد 8, (يوليو أغسطس) 1956م, الجمعية الليبية التركية للصداقة والثقافة, طرابلس, ليبيا.
4. مجلة الشهيد, العدد الأول أكتوبر 1980م, نشرة دورية يصدرها مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي في 7 أكتوبر من كل سنة.
5. مجلة المصور الإيطالية.
6. مجلة ليبيا المصورة.